المحاضرة07: ريمون بودون

رايمون بودون(R. Boudon) ، الباحث السوسيولوجي الفرنسي، يرفض مقاربات المدرسة الوظيفية والمقاربة الصراعية التي ترى أن المدرسة تُعيد إنتاج الطبقات الاجتماعية نفسها، وتُعتبر فضاءً للصراع بين الطبقات المهيمنة والخاضعة. على عكس هذا التصور، ينفي بودون وجود علاقة سببية قوية بين اللامساواة التعليمية واللامساواة الاجتماعية. يرى أن أسباب اللامساواة التربوية تعود إلى اختيارات الأفراد وقراراتهم الذاتية المبنية على حسابات واقعية وطموحات مرتبطة بمنطق الربح والخسارة الذي تتبناه الأسر.

اللامساواة التعليمية: منظور بودون

يشير بودون إلى أنه في الماضي، كان الحاصلون على الشهادات يتمتعون بفرص كبيرة للحصول على وظائف مناسبة، لكن مع تزايد عدد المتعلمين وكثرة الشهادات، أصبحت سوق العمل محدودة، ما جعل المدرسة تفقد قدرتها على توفير فرص متساوية للجميع. ويعزو ذلك إلى خيارات الأفراد ورغباتهم، وليس إلى صراع طبقي أو ثقافي كما يزعم أنصار المقاربة الصراعية.

يُبرز بودون أن الأسر تختلف في نظرتها إلى التعليم بناءً على طموحاتها وظروفها الاجتماعية. على سبيل المثال، يعتبر أبناء الطبقة العمالية شهادة البكالوريا فرصة اقتصادية مهمة، بينما يرى أبناء الطبقات العليا أن استكمال التعليم الجامعي هو الخيار الوحيد لتحقيق طموحاتهم. وبالتالي، فإن اللامساواة المدرسية تنبع من الفروقات في الرغبات الفردية والتوقعات، وليس من تأثير الرأسمال الثقافي أو الهيمنة الطبقية.

المدرسة والحرية في المجتمع الليبرالي

يرى بودون أن المجتمع الليبرالي، على الرغم من افتقاره إلى المساواة الكاملة، يوفر حرية الاختيار، مقارنة بالمجتمعات الاشتراكية التي تركز على المساواة ولكن تفتقر إلى الحرية. يؤكد أن الفرد في المجتمع الليبرالي يتخذ قراراته بناءً على حسابات عقلانية دقيقة تأخذ في الاعتبار التكاليف والعائدات.

نظرية الفعل مقابل الحتمية المجتمعية:

على عكس أنصار المقاربة الصراعية، مثل بيير بورديو، الذين يعتبرون أن الهيمنة الطبقية والتنشئة الاجتماعية تحدد مصير الفرد، يرى بودون أن الأفراد أحرار في اختياراتهم وأفعالهم. كل فرد قادر على تحديد مساره المدرسي والمهني من خلال مبادراته وجهوده الفردية، وليس نتيجة للعوامل المجتمعية الحتمية.

إشكالية تكافؤ الفرص:

يُرجع بودون مسألة عدم تكافؤ الفرص التعليمية إلى مجموعة من العوامل الخارجية المرتبطة بالأسر، مثل الوضع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، وليس إلى النظام التربوي نفسه. هذه العوامل تؤدي إلى اختلاف مستوى التحصيل الدراسي بين التلاميذ، مما يُنتج تفاوتًا في المواقع الاجتماعية والتراتبية الطبقية.

يشير بودون إلى أن النظام الاجتماعي التراتبي والنظام التربوي الهرمي يعملان معًا لإنتاج اللامساواة. فبينما تُعزز بنية الجدارة والاستحقاق فكرة أن التعليم يحدد الموقع الاجتماعي، تُضعف بنية الهيمنة هذا المفهوم، حيث تمنح الامتيازات للأفراد ذوي الخلفيات الاجتماعية المرتفعة، حتى لو تساووا في المستوى التعليمي.

الحراك الاجتماعي والتفاعل بين النظامين:

وفقًا لبودون، يتأثر الحراك الاجتماعي بتركيب النظام الاجتماعي والنظام التربوي. بنية الجدارة والاستحقاق تُظهر أن المستوى الدراسي يحدد الموقع الاجتماعي، بينما تعمل بنية الهيمنة على تقليل تأثير الجدارة لصالح الطبقات ذات المنشأ الاجتماعي المرتفع. ونتيجة لذلك، يمكن للأفراد من نفس المستوى الدراسي أن يحصلوا على مواقع اجتماعية مختلفة بناءً على خلفياتهم الاجتماعية.

خلاصة:

رايمون بودون يُبرز نظرية عقلانية لتحليل الاصطفاء المدرسي، حيث يعتمد الأفراد على قرارات واعية مبنية على حسابات دقيقة، وليس على العوامل المجتمعية الحتمية أو الصراع الطبقي. ويُفسر عدم تكافؤ الفرص التعليمية كنتيجة لتفاعل عوامل خارجية مرتبطة بالأسرة والمجتمع، مما يؤدي إلى تمايز اجتماعي مبني على الاختلافات الفردية في التطلعات والفرص.